حجاجية التناص الديني في شعر جرير
"مقاربة تداولية"

السبتي سلطاني

كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة باجي مختار – عنابة، sebti.soltani@gmail.com

تاريخ الإيداع: 2015/07/02 **تاريخ المراجعة:** 2016/02/29 **تاريخ القبول:** 2016/03/06

ملخص

كثيرا ما يجد الدّارس في شعر جرير ما يحيله على النص الديني، سواء إحالة مباشرة عبر توظيف آيات القرآن الكريم توظيفا لفظيا مباشرا أو توظيفا إيحائيا غير مباشر، وذلك عبر استلهام المعنى الديني من القرآن وتوظيفه بطريقة غير مباشرة.وعليه تأتي هذه الدراسة للوقوف عند حجاجية التناص الديني في الشعر الأموي من خلال ديوان جرير، وبالتالي نتساءل: كيف تعامل جرير مع النص الديني عموما، والقرآن الكريم على وجه الخصوص؟ ثم كيف تحوّل التناص الديني في شعر جرير من البعد الفني الجمالي ليتخذ أبعادا حجاجية تداولية؟

الكلمات المفاتيح: حجاج، تناص، تداولية.

L'argumentation intertextuelle religieuse dans la poésie de Jarir
"Approche pragmatique"

Résumé

L'étudiant trouve souvent que le poème de Jarir se rapporte aux textes religieux, qu'il s'agisse directement des versets coraniques ou indirectement inspiré du sens religieux du Coran. Par conséquent, cette étude vient pour marquer l'intertextualité religieuse dans le poème Omeyade dans le recueil de Jarir où nous nous demandons: comment Jarir a- t-il traité le texte religieux en général et le Coran en particulier? Comment l'intertextualité religieuse dans la poésie de Jarir est-elle passée d'une dimension artistique esthétique à une dimension orbitale réelle (pragmatique).

Mots-clés: Argumentation, intertextualité, pragmatique.

The religious argumentative intertextuality in the poetry of Jarir
"Pragmatic approach"

Abstract

Anyone who studies Jarir's poetry can find referral to religious text, either by a direct referral though the use of koran verses verbally in direct way or suggestively in inderect way by the inspiration of the religieus meaning from koran and using it in indirect way.This study aims at analyzing the argumentation of religious inter-textuality in umayyad poetry text geneally and with koranespecialy, and how religious inter-textuality in Jarir poems has shifted from the esthetic dimension in order to take argumentative and pragmatic dimensions.

Key words: Argumentation, intertextuality, pragmatics.

المؤلف المرسل: السبتي سلطاني، sebti.soltani@gmail.com

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

توطئـــــة:

يشكّل التناص الديني في الخطاب الشعري الأموي أحد أبرز القضايا الموضوعاتية والفنية التي ميزت هذا الخطاب بفعل ذلك الصراع الخفي والمعلن بين شتّى التيارات السياسية المتنازعة على سلطة الخلافة، لذلك لم يتردد الشعراء الأمويون في توظيف التناص الديني في خطابهم الشعري توظيفا فنيا جماليا تارة، وتوظيفا حجاجيا براغماتيا تارة أخرى، غير أنّ ما يثير الانتباه هو كثافة استعمال جرير بن عطية الخطفي للتناص الديني بشكل يكاد يشكل ظاهرة فنية وحجاجية متميزة، ومن هنا يمكننا طرح التساؤلات الآتية: كيف تعامل جرير مع النصوص الدينية المستمدة من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف؟ ثم كيف طوّع الشاعر النصوص الدينية خدمة لأغراضه السياسية؟ وما الذي ميّز التناص الديني في شعر جرير عن غيره من الشعراء سواء الموالين لسلطة بني أمية أو المعارضين لها ؟ وأخيرا ما المعاني الدينية التي استلهمها جرير من النصوص الدينية على سبيل التناص ووظفها في حجاجه لخلفاء بني أمية ؟

1- مفهوم الحجاج:

أ- الحجاج لغة:

حَاجَجْتُهُ، أُحَاجُهُ، حِجَاجًا، وَمُحَاجَّةً، من حَجَجْتُهُ بالحُجَجِ التي أدليت بها، والحُجَّةُ البرهان

وقيل الحُجَّةُ ما دوفع به الخصم، وقال الأزهري: الحُجَّةُ: الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة، وجمع الحُجَّةِ حُجَجٌ وحِجَاجٌ وحَاجَّهُ مُحَاجَّةً وحِجَاجًا نازعه الحُجَّةَ وحَجَّهُ يَحُجُّهُ حَجًّا، غلبه على حُجَّتِهِ، وفي الحديث: فَحَجَّ آدم موسى، أي غلبه بالحُجَّةِ واحتجَّ بالشيء، اتخذه حجَّةَ، وقال الأزهري: " **إنما سميت حجَّةً لأنها تحجُّ أي تقصد، لأن القصد لها وإليها**"[1].

وقال الجرجاني:" **الحُجَّةُ ما دلّ به على صحة الدعوى وقيل الحُجَّةُ والدليل واحد**"[2].

وجاء في لسان العرب الحِجَاجُ والمُحَاجَّةُ مصدران لفعل حَاجَجَ، حَجَجَ، الحَجُّ: القصد. وحَجَّهُ يَحُجُّهُ حَجًّا: قصده. والحُجَّةُ: البرهان، وقيل: "**الحُجَّةُ ما دفع به الخصم.**"[3] ويقال حَاجَّهُ مُحَاجَّةً وحِجَاجًا أي نازعته. وحجَّهُ يَحُجُّهُ حَجًّا: غلبه على حُجَّتِهِ[4].

ب- الحجاج اصطلاحا:

ويطلق لفظ الحجاج أو المحاججة عند "**شاييمبيرلمان**" و"**تيتكاه**" "**pereleman**" و"**tyteca**" على ذلك العلم الذي "**يدرس تقنيات الخطاب التي تؤدي في النهاية إلى تسليم الذهن بما يعرض عليه من أطروحات أو تزيد في درجة تسليمه بها**"[5].

غير أنّ الحجاج مثلما هو ليس ذاتيا محضا، فهو ليس موضوعيا محضا، ذلك أنّ من مقوماته حرية الاختيار على أساس عقلي، وعلى صعيد آخر فإنّ الحجاج في ارتباطاته بالمتلقي، يؤدي إلى حصول عمل ما أو الإعداد له، ومن ثَمَ سيكون فحص الخطابات الحجاجية المختلفة بحثا في صميم الأفعال الكلامية وأغراضها السياقية، وعلاقة الترابط بين الأقوال التي تنتمي إلى البنية اللغوية الحجاجية، لذلك سيكون الحجاج مؤطرا بالخاصية الشكلية اللسانية.

إذا قارنا دلالة الحجاج في اللغة العربية بدلالتها في لغة أجنبية كالفرنسية، فإن معنى **Argumentation** في اللغة الفرنسية التي تقابل معنى الحجاج، لا تختلف من حيث الجوهر عن معناها في العربية، إذ أن

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لفظ **Argument** تحيلنا في القاموس الفرنسي "روبير"**Robert**" **إلى معنى الاعتراض أو طرح موقف مصاحب بحجج تؤيد وجهة النظر**"[6].

والحجاج في الدراسات والأبحاث الغربية المعاصرة –التي تهتم بالخطاب والبعد الحجاجي فيه– كما عرَّفه **ميشال مايير M.Meyer**: "**جهد إقناعي. والحجاج متجسد في كل لغة من حيث إنّ الخطاب يستهدف إقناع من يتوجه إليه**"[7] ويعني أنّ الحجاج خاصية للخطاب من حيث إن المخاطب يستهدف من خلاله إقناع المستمع بوجهة نظر معينة وإفحامهبها قصد التأثير فيه للقيام بفعل أمر ما أو تركه.

2-مفهوم التناص:

أ-التناص لغة:

النَّصُّ أو التَّناصُ في اللغة يعني البلوغ والاكتمال في الغاية، أورد الفيروز أبادي في القاموس المحيط "**نَصَّ الحديث إليه رَفَعَه، و...ناقته استخرج أقصى ما عندها في السَّير، و– الشيء حرّكه، ومنه فلان يَنُصُّ أنفه غضباً، وهو نَصَّاصُ الأنف، و– المتاع: جعل بعضه فوق بعض، و– فلان استقصى مسألته عن الشيء، و– العروسُ أقعدها على المنصة، وهي ما تُرفع عليه فانتصت.. وسَيْرٌ نَصٌّ ونصيص جِدٌّ رفيع ونصّص غريمه استقصى عليه وناقشه**"[8].

أمّا ابن فارس فيرى في مادة " نَصَّ": " **نَصَّ النون والصاد أصل صحيح يدل على رفع وارتفاع وانتهاء في الشئ، منه قولهم نَصَّ الحديث إلى فلان: رفعه إليه، والنَّصُّ في السير أرفعه، يقال نَصَصْتُ ناقتي وسَيْرٌ نَصٌّ ونَصِيصٌ، ومنَصَّةُ العروس منه أيضا.. ونَصُّ كلِّ شيء منتهاه...**"[9].

ب-التناص اصطلاحا:

يعدّ ميخائيل باختين **Mikhaïl Bakhtine** رائد التناص باعتباره أفضل من أسهب في التعريف بهذا المفهوم من دون أن يصرح باستعماله، إذ فضّل بدلا عن ذلك استعمال مصطلح " **إيديولوجيم**"[10] أي الحوارية تاركا مجال استعمال مصطلح التناص لجوليا كريستفا.

والحوارية في تحليل الخطاب كما ورد عند **دومينيك مانغونو Dominique Maingueneau** تستعمل: " **للإحالة على البعد التفاعلي الجمّ للّغة، أكان شفويا أو مكتوبا** "[11].

عرفت جوليا **كريستيفا JuliaKristeva** التناص بأنّه "**ترحال للنصوص، وتداخل نصي، ففي فضاء نص معين، تتقاطع وتتنافى ملفوظات عديدة، مقتطعة من نصوص أخرى**"[12]. كما رأت أنّ المدلول الشعري في النص الواحد يحيلنا على مدلولات خطابية مغايرة، إذ يمكننا قراءة خطابات عديدة داخل النص الشعري الواحد، وتتم صناعة النصوص الشعرية الحديثة انطلاقا من امتصاص وهدم النصوص الأخرى في فضاء التداخل النصي[13].

وفي النقد العربي تباينت مدلولات التناص ومستوياته بين الدارسين، فمثلا ينطلق الباحث سعيد يقطين من النصوص السردية، فيرى أنّ للتناص مستويين: مستوى عاما ومستوى خاصا،[14] أمّا محمد بنيس فيقسم مستويات التناص إلى ثلاثة أقسام هي:[15]

أ-المستوى الاجتراري:

حيث تتم في إعادة كتابة النص الغائب بشكل جامد، وشاع هذا النّوع في عصور الانحطاط حيث تعامل الشعراء بطريقة نمطية مع النصوص الشعرية ولم يعتبروها إبداعاً، ونتيجة ذلك ظهر تمجيد بعض المظاهر الشكلية الخارجية كما أصبح النّص الغائب نموذجا جامداً تتلاشى فعاليته من خلال النّص الحاضر.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ب- المستوى الامتصاصي:

ينطلق من الاعتراف بأهمية النصوص الغائبة، فيتعامل معها كحركة وتحوّل لا ينفيان الأصل، وفي هذا المستوى من التناص نجد أن تعامل الأديب شاعرا كان أو ساردا مع النصوص الغائبة تعاملٌ واعٍ، إضافة إلى أنّ الامتصاص يقف موقف الحياد إزاء النّص الغائب فلا يمدحه ولا يذمّه، إنّما يقوم بمهمّة تطويع النّص وإعادة صياغته وفق المتطلّبات التي كتب فيها النّص الحاضر ولم يعشها النّص الغائب في المرحلة التي كتب فيها.

جـ- المستوى الحواري:

وهو أرقى مستويات التناص، ولا يكتفي فيه الشاعر باجترار أو امتصاص نص غائب، بل يعمد إلى استلهام ذلك النص، وتحطيم أسسه الدلالية، ويبنى على أنقاض ذلك نصّه الحاضر.

3- الإجراء: حجاجية التناص مع النص القرآني في شعر جرير:

يشكل التناص مع القرآن الكريم علامة فارقة في شعر جرير، إذ تتعدد مستويات التناص في شعره، بين الاجترار والامتصاص والحوارية، حيث يتجلى التناص وفق هذه المستويات إمّا لفظا أو معنى.

أ- حجاجية التناص اللفظي في شعر جرير:

ونعني بالتناص اللفظي مع القرآن الكريم توظيف آيات القرآن الكريم أو بعضا من ألفاظه توظيفا لفظيا مباشرا، من ذلك قول جرير: **(البسيط)**[16]

قَد كانَ قــالَ أَميـرُ المُؤمنينَ لَـهُم ... ما يَعلَمُ اللَـهُ مِن صِدقٍ وَإِجهادِ
مَن يَهدِهِ اللَهُ يَهــتَدِ لا مُضِلَّ لَــهُ ... وَمَن أَضَلَّ فَما يَهديهِ مِن هادي
ذوقوا وَقَــــد كُنتُمُ عَنها بِمُعتَزِلٍ ... حَربــاً تَحَرَّقُ مِن حَمــيٍ وَإيقادِ
لا بارَكَ اللَهُ فــــي قَومٍ يَغُرُّهُــمُ ... قَــولُ اليَهودِ لِذي حَقَينِ بَــرّادِ[17]

سعى الشاعر في هذه الأبيات إلى رسم صورة مثالية لممدوحه هشام بن عبد الملك الذي لا يهدأ له بال إلا بنصح الرعية إلى ما يرشدها إلى الهدى ويبعدها عن الزيغ، والمقصود بالزيغ هنا –حسب سياق النص – عدم التسليم والإذعان لخلفاء بني أمية بأمر الخلافة، ولتثبيت هذا الموقف لدى الرّعية لم يتردد جرير في الأخذ من النص القرآني ما يدعّم به موقفه، من ذلك توظيف قوله عز وجل: ﴿ **وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيّاً مُرْشِداً**﴾[18].

لقد أورد ابن كثير في تفسير هذه الآية قوله: "**إنّ الله هو الذي أرشد هؤلاء الفتية إلى الهداية من بين قومهم، فإنّه من هداه الله اهتدى، ومن أضلّه فلا هادي له**"[19].

وجد جرير في هذه الآية سندا حجاجيا يدعمه لتحقيق أهدافه الحجاجية من أجل رسم صورة جميلة لممدوحه، حيث جعله في مرتبة نبي الله محمد –عليه الصلاة والسلام– عندما قصّ على أتباعه قصة فتية الكهف التي أوردها القرآن الكريم، حينما أكدّ لهم أنّ الهداية من الله، فمن منَّ الله عليه بالهداية اهتدى، ومن تركه في ضلالة ضلّ، وهو الموقف نفسه الذي وقفه هشام بن عبد الملك مع الرّعية، حيث دعاهم إلى الإقرار بحقّ الأمويين في الخلافة، فإن فعلوا ذلك أفلحوا، وإلاّ فإنّ عاقبة الأمور ستكون وخيمة.

والملاحظ في هذا المثال أن الشاعر عمد إلى توظيف التناص مع القرآن الكريم توظيفا لفظيا واضحا، ويتجلّى ذلك في البيت الثاني من المقطوعة النموذج.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن صور التناص الحجاجي اللفظي المستمدّ من القرآن الكريم، والذي غايته حثّ الرعية على التسليم بالخلافة لبني أمية دون سواهم، توظيف جرير لمبدأ جبرية الخلافة في بني أمية وحصرها فيهم دون سواهم حيث يقول: **(البسيط)**[20]

خَليفـَةَ اللّـه مــاذا تَنظُرونَ بِنــا ... لَســـنا إِلَيكُم وَلا في دارِ مُنتَظَرِ
أَنتَ المُبــارَكُ وَالمَهـدِيُّ سيـرَتُـهُ ... تَعصي الهَوى وَتَقومُ اللَيلَ بِالسُوَرِ
أَصبَحتَ لِلمِنبَرِ المَعمورِ مَجلِسُهُ ... زَيـنــاً وَزَينَ قِبابِ المُلكِ وَالحُجَرِ
نــالَ الخِلافَةَ إِذ كــانَت لَـهُ قَدَراً ... كَمــا أَتى رَبَّهُ موسى عَلى قَدَرِ

يتجلى توظيف التناص الحجاجي مع النص القرآني بوضوح تام في هذه الأبيات، حيث شبّه الشاعر قدر الخلفية عمر بن عبد العزيز مع الخلافة، بقدر موسى –عليه السلام– مع النبوّة، وهو ما أخبر به القرآن الكريم في قوله عز وجل: ﴿**إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ**﴾ [21].

جعل جرير من الخلافة قدرا محتوما في بني أمية من خلال الخليفة الذي ارتضاه الله للرعية كما زعم جرير، وهو في ذلك مثل موسى – عليه السلام – الذي «**جاءته الرسالة والنبوة قدرا مقدورا**»[22].

ولجأ جرير لتوظيف بعض ألفاظ القرآن الكريم قصد دعم حججه ضد خصومه، من شعراء التيارات المناهضة لحكم بني أمية من ذلك قوله: **(البسيط)**[23]

اللّهُ أَعطاكُـمُ من علمه بِكُـمُ ... حُكمــاً وَمـا بَعدَ حُكمِ اللّهِ تَعقيبُ
أَنتَ الخَليفَــةُ لِلرَحمَنِ يَعرِفُــهُ ... أَهلُ الزَبُورِ وَفــي التَوراةِ مَكتوبُ
كونوا كَيوسُفَ لَمّا جاء إِخوته ... وَاستَعرَفوا قالَ ما في اليَومِ تَثريبُ
اللّــهُ فَضَّلَـهُ وَاللّهُ وَفَّـــقَهُ ... تَوفيقَ يوسُفَ إِذ وَصّاهُ يَعقــوبُ

إنّ المتمعّن في هذه الأبيات يدرك للوهلة الأولى حرص الشاعر على استحضار العديد من مظاهر الخطاب الحجاجي الديني، حيث عمد جرير إلى تضمين بعض الأبيات القرآنية بشكل واضح، إذ ينطلق من وجوب الإقرار لبني أمية بأمر الخلافة والتّسليم بذلك، على اعتبار أنّ الله – عز وجل – هو من فرض ذلك، وبالتّالي لا معقب لأمره، وهنا نستحضر قوله عز وجل: ﴿**أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ**﴾[24].

فالتناص الوارد في هذا النموذج تناص لفظي مع الآية الكريم الواردة في سورة الرعد، يهدف من خلاله جرير إلى إقناع المتلقي بضرورة التسليم بما اختاره الله – عزّ وجلّ – وبالتّالي لا مجال لمزاحمة البيت الأموي أمر الخلافة، لأنّ الله أوقفها عليهم دون سواهم.

ومن صور التناص اللفظي الواردة في النموذج الشعري سالف الذكر استحضار جرير موقف نبي الله يوسف – عليه السلام – مع إخوته، عندما اكتشفوا في نهاية المطاف أنّ من رموه في غياهب الجب لم يمت، بل إنّه أمامهم على خزائن الملك في مصر، وبيده الآن مصيرهم ﴿**قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ**﴾[25] فردّ عليهم: ﴿ **قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**﴾[26].

عمد جرير إلى تضمين ردّ النبي يوسف – عليه السلام – على إخوته في خطابه الشعري للتأكيد على سماحة خلفاء بني أمية وأمرائهم، داعيا إيّاهم إلى الاقتداء بيوسف – عليه السلام – في تعامله مع إخوته الذين آذوه

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتآمروا عليه وحاولوا قتله، لكنّه لم يقابل الإساءة بالإساءة، بل عفا عنهم ودعا الله أن يغفر لهم، وفي ذلك رفعة وتعاليا عن الضغائن والأحقاد.

ب- حجاجية التناص المعنوي في شعر جرير:

نعني بالتناص المعنوي ذلك التناص الخفي الذي يقرأ بين السطور، فهو لم يرد بصورة صريحة ومباشرة على غرار التناص اللفظي، بل ورد بصورة إيحائية تستنبط دلالته من سياق الكلام، ويعد هذا النوع من التناص من أرقى أنواع التناص وأكثرها تأثيرا في المتلقي، باعتباره يحرك فيه فضول البحث والتنقيب عن النص الغائب، ويدعوه إلى التأمل في طبيعة العلاقة القائمة بين النص الغائب والنص الحاضر، ومن هنا تأتي جمالية التناص المعنوي وقوته الإقناعية والتأثيرية لدى المتلقي.

إذا عدنا للخطاب الشعري عند جرير نجد أنّه لم يتردد في توظيف هذا النمط من الحجاج، لما له من قوة الإقناع والتأثير في المتلقي ومن صور التناص المعنوي في شعر جرير قوله: **(الوافر)**[27]

هشامُ المُلكِ وَالحَكَمُ المُصَفّى ... يَطيـبُ إذا نَزَلتَ بِهِ الصَعيدُ
يَعُمُّ عَلـى البَرِيَّةِ منكَ فَضلٌ ... وَتُطرِقُ من مَخافَتِكَ الأُسودُ
وَإن أَهلًا لضَلالَةِ خـالَفوكُم ... أَصابَـهُمُ كَما لَقِيَت ثَمـودُ

فثمود قبيلة من العرب من بقية عاد، وهم قوم النبي صالح– عليه السلام–، أتاهم الله الناقة وحذرهم نبيّه صالح – عليه السلام – من إذائها، فعصوا أمره، فكان مصيرهم الهلاك، ولذلك عمد جرير إلى توظيف التّناص المعنوي مع النص القرآني للتأكيد على بطش الأمويين بخصومهم الذين ينازعونهم أمر الخلافة، وقد ورد الحديث عن مصير ثمود في قوله – عز وجل–: ﴿ **وفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّى حِينٍ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ فَمَا اسْتَطَاعُوا مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنتَصِرِينَ** ﴾[28] كما ورد ذكر هذا المصير في قوله عز وجل: ﴿**كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا وَلا يَخَافُ عُقْبَاهَا**﴾[29].

فسّر ابن كثير هذا المصير بالقول:" «**فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ**» أي غضب عليهم، فدمر عليهم، «**فَسَوَّاهَا**» أي فجعل العقوبة نازلة عليهم على السواء"[30].

نلاحظ أنّ المقارنة بين صنيع ثمود وصنيع أعداء بني أمية غير واردة على الإطلاق، إلاّ أنّ جرير عمد إلى الجمع بين الأمرين، رغبة منه في التأثير على « الرأي العام » لتنفيره من الخصوم وترغيبه في من يواليهم.

ومن صور التناص المعنوي الذي لا يتردد جرير في توظيفه قصد دعم حججه في مساندة حقّ الأمويين في الخلافة، ودحض حجج خصومهم، نجد حرصه الشديد على إصباغ العناية الإلهية على أصحابه من الخلفاء الأمويين، باعتبار أنّ حكمهم مستمد من الله عزّ وجلّ، وبالتالي فإنّ الله سيحميهم ويمنعهم من كيد الكائدين، وسيكفيهم شرّ كلّ حاسد متربص يقول جرير: **(الطويل)**[31]

إِذَا مَـــا أَرادَ الناسُ منهُ ظُلامَةً ... أَبى الضَيمَ فَاستَعصى عَلى كُلِّ قائِدِ
وَكَيفَ يَرومُ الناسُ شَيئاً مَنَعتَـهُ ... هَـــوى بَينَ أَنيابِ اللُيوثِ الحَـوارِدِ
إِذا جَمَـــعَ الأَعداءُ أَمرَ مَكيـدَةٍ ... لِغَـــــــدرٍ كَفـاكَ اللَهُ كَيدَ المُكايِدِ

إنّ المتمعن في هذا النموذج يدرك للوهلة الأولى أنّ جريرا جعل من ممدوحه نموذجا للاستقامة والعدل والدفاع عن المظلومين، ولأنّه كذلك فإن الله يسمعه ويكفيه شرّ الكائدين، وهو بذلك يعمد إلى توظيف ما خاطب الله به نبيه محمد – صلى الله عليه وسلم – مطمئنا إيّاه بأنه سيكفيه شرّ من لم يؤمن بالله ربّا وبمحمد نبيّا، حيث قال –

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

جل من قائل–: ﴿**فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾(32) فالملاحظ أنّ الشاعر وظّف التناص المعنوي الذي يقوم على استلهام المعنى من النص القرآني، وتوظيفه بما يخدم مقصديه الباث/ الشاعر.

خاتمـــة

حاولت هذه الدراسة أن ترصد التناص الحجاجي في الشعر الأموي من خلال اتخاذ الشاعر جرير بن عطية الخط في أنموذجا، يعجّ شعره بهذه الخاصية، كما عمدت الدراسة إلى عدم الوقوف عند إبراز التناص الديني كظاهرة فنية فحسب، بل حاولت مقاربتها باعتبارها ظاهرة حجاجية، وخلصت إلى النتائج الآتية:

1- يشكل التناص الديني في شعر جرير أحد أبرز الظواهر الفنية التي تمارس حضورها بشكل مكثّف من خلال مدوّنته الشعرية، وذلك لاعتبارات فنية جمالية من ناحية، واعتبارات حجاجية تداولية من ناحية أخرى، والحقيقة أنّ هذه الظاهرة لا يختص بها شعر جرير دون سواه، بل تحوّلت إلى ما يشبه النمط الغالب على شعر جميع معاصريه من الشعراء، حيث لم يسلم من هذه الظاهرة أيّ شاعر من شعراء العصر الأموي، ولعلّ السبب في ذلك يعود إلى حرص كلّ شاعر على إثبات حقّ أصحابه في الخلافة، متوسلا الخطاب الديني الذي يلقى القبول والإذعان عند الجمهور المتلقّي الذي هو حديث عهد بالإسلام.

2- يتنوع التناص الحجاجي في شعر جرير بين ما هو تناص لفظي مباشر وبين ما هو تناص معنوي غير مباشر، ويعدّ هذا الأخير أكثر قوة في الإقناع والتأثير باعتباره يحرك العقول ويحفّزها على التفكير ومن ثمّ تتحقّق غاية الشاعر ومقصديته تجاه المتلقي، ومن خلال دراستنا هذه وقفنا عند توظيف الشاعر لهذين النمطين من التناص.

3- يعدّ جرير وشعراء التيار الأموي أكثر شعراء العصر الأموي توظيفا للتناص الديني الحجاجي بسبب حرصهم على إثبات حقّ أصحابهم في الخلافة إثباتا دينيا، غايته دحض حجج خصومهم القائمة على تصوير خلفاء البيت الأموي في صورة الملوك الطغاة، الذين سلبوا غيرهم الخلافة دون وجه حقّ، مثلما نجد ذلك جليا في أشعار الهاشميين والخوارج.

المراجع والحواشي:

1– ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم في اللغة، ج2، تحقيق: عبد الستار أحمد فرّاج، معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية، القاهرة، مصر، ط1، 1958، ص 338، مادة (حجج).

2– الجرجاني، كتاب التعريفات، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، د ت، ص 73.

3– ابن منظور، لسان العرب، ج3، تحقيق: أمين محمد عبد الوهاب ومحمد صادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، ط3، 1999، ص 52، مادة (حجج).

4- Le grand Robert, Dictionnaire de la langue française, Paris 1989, T[4], p 535.

5– نعمان بوقرة، نظرية الحجاج، مجلة الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، العدد: 407 مارس 2005.

6- Le grand Robert, Dictionnaire de la langue française, p 535.

7- Meyer–Michel, logique langage et argumentation, Hachette 2émé édition, paris 1982, p 136.

8– الفيروز أبادي، القاموس المحيط، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط8، 2005، ص 632–633.

9– ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج5، تحقيق: محمد عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر، دمشق، سورية، 1979، ص 356.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

10– ليونسومفيل، دراسات في النص والتناصية، ترجمة: محمد خير البقاعي، مركز الإنماء الحضاري، حلب، سورية، 1998، ص 61.

11– دومينيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة: محمد يحياتن، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ومنشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008، ص 36.

12– جوليا كريستيفا، علم النص، ترجمة فريد الزاهي، مراجعة عبد الجليل ناظر، دار توبقال للنشر الدار البيضاء، ط1، 1991، ص 21.

13– المرجع نفسه، ص 79.

14– سعيد يقطين، انفتاح النّص الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت/ الدار البيضاء، ط2، 2001، ص 126.

15– محمد بنيس، ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط02، 1985، ص 253.

16– جرير، الديوان، تحقيق: غريد الشيخ، منشورات مؤسسة النور للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط1، 1999، ص 120.

17– ذو حفين براد: اسم يهودي كان يدس بين الناس.

18– الكهف: 17.

19– ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار ابن حزم، بيروت، لبنان ط1، 2000، ص 1149.

20– جرير، الديوان، ص 209.

21– طه: 40.

22– ابن كثير تفسير القرآن العظيم، ص 1216.

23– جرير، الديوان، ص 38.

24– الرعد: 41.

25– يوسف: 91.

26– يوسف: 92.

27– جرير، الديوان، ص 116.

28– الذاريات: 43–45.

29– الشمس: 11–15.

30–ابن الكثير، تفسير القرآن العظيم، ص 2001.

31– جرير، الديوان، ص 137.

32– البقرة: 137.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com